الفصل السابع عشر

محمود أمين العالم

وفلسفة «المصادفة الموضوعية»

الفصل السابع عشر

محمود أمين العالم
وفلسفة «المصادفة الموضوعية»

أولاً: مكانته الفكرية

يُعد محمود أمين العالم (1922 - 2009م) نسيجًا وحده بين رواد الفلسفة المصرية المعاصرة؛ حيث جمع بين العمل الأكاديمي والعمل السياسي كما جمع بين الكتابة العلمية الرصينة وبين الكتابة الصحفية الثورية، جمع بين الريادة الفلسفية والريادة الأدبية. ولا أعتقد أن أحدًا من بين رواد الفكر المصري قد تقلب في الحياة السياسية المصرية كاتبًا ومفكرًا، منظرًا ومحللاً، ساسيًا ومناضلاً، حرًا وسجينًا، بقدر ما تقلب فيها وخبرها محمود أمين العالم. والغريب أنه بقدر ما جذبه العمل السياسي منظرًا ومناضلاً، بقدر ما جذبته الحياة الأكاديمية وشغله التجديد الفلسفي والعلمي؛ فلاشك أن دراسته الرائدة في «فلسفة المصادفة» كانت تؤهله لريادة فلسفية في مجال فلسفة العلوم ليس على الصعيد المحلي فقط، بل على الصعيد العالمي. ومع ذلك وبعد أن طاردته السياسة وطاردها، فكان طريدها ومحبها في ذات الوقت، أقول مع ذلك فقد عاد في السنوات الأخيرة ليمارس دوره الريادي في تجديد الفكر العربي على الصعيدين النظري والعملي؛ النظري بكتاباته بو إصداره «قضايا فكرية»، والعملي بمشاركته وبرئاسته للعديد من الهيئات وخاصة لجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى للثقافة.

ثانيا: صورة عامة لحياته ونشاطاته الفكرية

- ولد في 18 فبراير 1922م بحي الدرب الأحمر بالقاهرة.

- بدأ حياته العملية ووظائفه الحكومية قبل تخرجه من الجامعة، فعمل أمينًا للتوريدات بمدرسة الأورمان الابتدائية للبنين وفي وظائف أخرى عامي 42 - 1943م.
- وقد حصل أثناء ذلك على ليسانس الفلسفة من كلية الآداب - جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقًا) عام 1945م بتقدير جيد.
- حصل على درجة الماجستير من نفس القسم عام 1953م بتقدير ممتاز في موضوع بعنوان «نظرية المصادفة الموضوعية ودلالتها في فلسفة الفيزياء الحديث».
- قيد لتحضير درجة الدكتوراه في موضوع بعنوان «مشكلة الاستقراء ودلالاتها في العلوم التجريبية» ولكن حالت ظروف فصله من الجامعة لأسباب سياسية بقرار وزاري بناء على مذكرة مرفوعة من مجلس قيادة الثورة في 22/ 9/ 1954 دون اتمامه لهذه الدراسة.
- شغل منصب مترجم ومنظم محاضرات عامة بعد أن كان يعمل أمينًا لمكتبة قسم الجغرافيا بكلية الآداب - جامعة القاهرة، ثم عمل بعد حصوله على الماجستير مدرسًا مساعدًا بقسم الفلسفة في 20/ 4/ 1954م قبل أن يصدر قرار فصله. ولم يكتف أثناء هذه الفترة بالعمل في تلك الوظائف أو بدراسته الجامعية وإنما كتب العديد من المقالات في مجلة الثقافة ومجلة الآداب اللبنانية وفي جريدة المصري وغيرها.
- بدأ مرحلة جديدة من حياته بعد الجامعة فاشتغل بإعطاء الدروس الخصوصية إلى أن عمل محررًا بمجلة روزاليوسف عامي 55 - 1956م. وانتقل بعد ذلك إلى العمل في مؤسسة دار التحرير حيث اشترك في التحضير لمجلة الفجر وجريدة المعركة ولم يصدرا.
- عين بعد ذلك مديرًا لتحرير مجلة الرسالة الجديدة وكتب آخر مقالاته فيها عام 1957م عن ميلاد المواطن العربي.ثم فصل بعد ذلك، ثم اعتقل خمس سنوات ونصف من عام 1959 حتى عام 1964م.
- عين بعد خروجه من المعتقل محررًا أدبيًا في مجلة المصور، ثم رئيسًا لتحرير مجلة الهلال.

- اشترك في الإعداد لإنشاء الهيئة المصرية العامة للكتاب ورأس مجلس إدارتها بين عامي 66 - 1967م.
- عين رئيسًا لمجلس إدارة مؤسسة المسرح في أواخر 1967م وأوائل عام 1968م. ثم رئيسًا لمجلس إدارة أخبار اليوم عام 1968م، ثم عاد مرة أخرى إلى رئاسة مؤسسة المسرح عام 69 - 1970م إلى أن أحيل إلى المعاش عام 1971م بعد فترة اعتقال أخرى.
- عاش في إنجلترا بعد ذلك حيث عمل محاضرًا في جامعة اكسفوردلمدة عام ثم انتقل إلى باريس فعمل بجامعة باريس حوالي عشر سنوات. وأصدر خلال تلك المدة مجلة اليسار المصري. ثم استقال من العمل بباريس وعاد إلى مصر منذ منتصف الثمانينات ليشارك بقوة وفاعلية في الحياة الثقافية المصرية والعربية حيث أصدر مجلة قضايا فكرية وظل يكتب في الكثير من الصحف والمجلات حتى وفاته.
- حصل على العديد من الأوسمة والجوائز كان أبرزها حصوله على جائزة الدولة التقديرية في نهاية التسعينيات.
- وقد توفى محمود أمين العالم في العاشر من يناير عام 2009م، وقد كان لوفاته أثرًا حزينًا في أوساط المثقفين المصريين والعرب.

ثالثًا: مؤلفاته

يُعد محمود أمين العالم من المفكرين متعددي المواهب والاهتمامات كما أشرنا من قبل، وقد جاءت كتاباته تحوي هذا التنوع وممثلة له؛ فقد كتب في الفلسفة، كما كتب في الأدب، كما نشر بعض أعماله الإبداعية في ميدان الشعر.

أما في مجال الأدب الذي شهد أول مؤلفاته، فقد صدر له مجموعتان من اختياراته القصصية في الأدبين المصري والعربي وعلق عليها تعليقاته النقدية وقدم لهما هما: «ألوان من القصة القصيرة المصرية» الذي صدر عام 1955م عن دار النديم وقدم له د. طه حسين. و«قصص واقعية من العالم العربي»، وصدر أيضًا عن دار النديم عام 1956م وقد اختار هذه النماذج وقدم لها بالاشتراك مع غائب طعمه فرمان.

أمـا أهـم مؤلفاته في مجال الأدب؛ فقد كان كتابه «تأمـلات في عالم نجيب محفوظ» الذي صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1970م. وأيضًا كتاب «الوجه والقناع في المسرح العربي المعاصر» الذي أصدرته دار الآداب ببيروت عام 1973م. وكذلك كتاب «توفيق الحكيم مفكـرًا وفنانًـا» الذي صدر في ثـلاث طبعات متوالية. حيث صدر أولاً عـن دار القدس بدون تاريـخ، ثـم صدرت طبعته الثانية عن دار شـهدي عـام 1984م، ثم صدرت طبعتـه الثالثة عن دار قضايـا فكريـة للنشر والتوزيع بالقاهـرة عام 1994م. وكذلك مـن مؤلفاته الأدبية الهامة كتابـه النقـدي عن ثلاث روايات كتبها صنـع الله إبراهيم بعنوان «ثلاثيـة الرفض والهزيمة» الـذي صدر عن دار المسـتقبل العـربي بالقاهرة عام 1985م. وكذلك كتابـه «أربعون عامًا من النقد التطبيقي، البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة»، والذي أصدرته أيضًا دار المستقبل العربي عام 1995م.

أمـا إبداعاته الشـعرية فقد صـدر منها « أغنية إنسـان « عن دار التحريـر بالقاهرة عام 1970م. و«قراءة لجدران زنزانة» عن وزارة الإعلام العراقية عام 1972م.

أمـا كتاباته التـي تقف بين الفلسـفة والأدب فتمثلت في عدة مؤلفات منهـا؛ «الرحلة إلى الآخرين» الذي أصدرته مؤسسـة روزاليوسـف بالقاهرة عـام 1974م، و«البحث عن أوربا» الـذي صدر عن المؤسسـة العربية للدراسـات والنشر ببيروت عـام 1975م، وكذلك «مفاهيم وقضايـا إشـكالية» الذي صدر عـن دار الثقافة الجديـدة بالقاهرة عـام 1989م. وكذلك أيضًا كتاب «في الفلسفة المصرية» الذي كتبه عام 1955 بالاشتراك مع د. عبدالعظيم أنيس وصدرت منـه عدة طبعات كان أولها بالمغـرب عام 1988م، وثالث هذه الطبعـات أصدرتها دار الثقافة الجديـدة عام 1989م. و ينتمـي إلى هذه المجموعة أيضًا كتابان آخـران هما: «معارك فكرية» الـذي طبـع للمرة أولى بدار الهلال بمصر عام 1965م، ثم أعادت نفس الدار طبعه عام 1970م. وقد طبع للمرة الثالثة مترجمًا إلى الروسية عام 1974م وصدر عن دار التقدم بموسكو. و«الثقافة والثورة». وقد صدر هذا الكتاب عن دار الآداب ببيروت عام 1970م.

أما الكتب الفلسـفية أو ذات الطابع الفلسفي لمفكرنا فهي؛ «فلسفة المصادفة» الذي كان عبـارة عـن أطروحته لنيل درجة الماجسـتير وقد أصدرتـه دار المعارف بالقاهـرة عام 1971م. و«هربـرت ماركيوز أو فلسـفة الطريق المسـدود» الـذي أصدرتـه دار الآداب ببيروت عام

1972م. و«الإنسان موقف» الذي أصدرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت عام 1962م. و«الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر» الذي طبع عدة طبعات كان أولها التي أصدرتها دار الثقافة الجديدة عام 1986م، وثانيها صدرت عن نفس الدار عام 1988م. ثم أعيد طبعه للمرة الثالثة بالدار البيضاء بالمغرب عام 1988م، و«الماركسيون المصريون والوحدة العربية» الذي صدر عن دار الثقافة الجديدة بالقاهرة عام 1988م. و«الفكر العربي بين الخصوصية والكونية» الذي صدر عن دار المستقبل العربي عام 1996م. وبالإضافة إلى هذه المؤلفات الواحد والعشرين أشرف على سلسلة كتب تعالج أهم وأخطر قضايا الفكر العربي المعاصر من خلال مشاركات عشرات المفكرين العرب وهو على رأسهم بالطبع في «قضايا فكرية» التي صدرت تباعًا عن دار قضايا فكرية للنشر والتوزيع بالقاهرة، ويكفي أن أشير إلى أنه قد صدر منها حتى يوليو من عام 1995م ستة عشر كتابًا كان آخرها الكتاب الخامس عشر والسادس عشر تحت عنوان «الفكر العري على مشارف القرن الحادي والعشرين». ولعل من المناسب أن نتوقف لنعرض لمضمون اثنين من أهم مؤلفاته الفلسفية يمثل أحدهما البدايات، ويمثل الآخر الاهتمامات المعاصرة لمفكرنا وهما «فلسفة المصادفة» و«الفكر العربي بين الخصوصية والكونية».

1) فلسفة المصادفة:

وهو كتاب رائد في موضوعه ولا يزال، حيث عالج فيه قضية من أخطر القضايا التي لا تزال مطروحة على الصعيدين الفلسفي والعلمي وتمثل إحدى نقاط التلاقي بين البحث الفلسفي والبحث العلمي، ورغم أن هذا الكتاب كان في الأصل دراسة أعدها لنيل درجة الماجستير إلا أنها في الحقيقة قد تجاوزت بريادتها وما بها من آراء لافتة للاهتمام والنظر هذا الأمر بكثير. وقد عبر العالم بنفسه عن هذا الأمر حينما قال في التمهيد الذي كتبه كتصدير لنشرها بدار المعارف بالقاهرة. «لقد حصلت بها على درجة الماجستير في الفلسفة من جامعة لقاهرة في يونيو 1953م إلا أنها في الحقيقة لم تكن تستهدف هذه الغاية.. إنه لم يكن بحث عن درجة علمية أو تطلعًا إليها، بل كان بحثًا عن الحقيقة، عن الاستقرار الفكري». (ص5).

وهو يعبر عن تجربته الفكرية الثرية مع هذه الدراسات أو مع هذا البحث كما يحب أن يسميه في نفس التصدير فيقول في عبارات تكشف بوضوح عن موقف فلسفي مرن

ومعقـد لواحد من فلاسـفة العلم المصريين في منتصف هذا القرن، يقـول: « لقد بدأت هذا البحـث غارقًا حتـى أذني في الفكر المثالي هادفًا إلى اتخاذ المصادفة معولاً لتقويض الموضوعية العلميـة. وهذا مـا اعترفت به في بداية البحـث. أما ما لم أعترف به فهـو أني خلال البحث، بـل في مرحلة متقدمـة منه كنت أطل فيها على أواخر القرن التاسـع عـشر، التقيت بكتاب «الماديـة والنقد التجريبي» لمؤلفه فلاديمير ايلتش لينين الـذي قادني بدوره إلى كتاب «جدل الطبيعة» لمؤلفه فريديريك إنجلز وكان هذا حدثًا فكريًا في حياتي قلب تصوراتي الفلسـفية رأسًا على عقب. فأمسكت بالمعول نفسه ورحت أقوض به الفكر المثالي الذي كان يستغرقني تمامًا. واقتضاني هذا سنوات أخرى أخذت فيها أنسج البحث منذ البداية على نول موضوعي جديد. بل رحت أجدد كذلك حياتي الفكرية عامة وأبدأ مرحلة جديدة من الحياة» (ص6). ويجد قارئ الكتاب تفصيلاً أكثر حول الموقف الفلسـفي وحـيرة العالم فيه في المدخل الذي كتبه لبحثه (ص9 - 16).

وقـد جاء الكتاب في بابين كبيريـن؛ الباب الأول يحمل عنـوان «نظريات في المصادفة»، واشتمل على ثلاثة فصول؛ عرض في الباب الأول منها للدلالات الشائعة للمصادفة فتحدث عن المصادفة كأساس للعلم الحديث، وثنائية المصادفة والضرورة، والمصادفة أثر نفسي، والمصادفة والغائيـة، وتطور مفهوم المصادفة، وأخيرًا تحدث عـن المصادفة عند الطفل. وفي الفصل الثاني تحـدث عـن نظرية المصادفة في العهد القديـم، وقصد المصادفة عند الفلاسـفة القدامى حيث تحـدث عن المصادفة عنـد إمبادوقليس، وعند ديمقريطس وعند أرسـطو وعنـد أبيقور ولوكر يتيـوس، أمـا في الفصل الثالث فتحدث عـن المصادفة في الفكر الفلسـفي الحديث وعرض فيه للمصادفة في مطلع التفكير العلمي ثم للمصادفة عند هيوم وكانط ولابلاس وكورنو. وقارن بين أسـطو وكورنو ولابلاس وستيوارت مل. ثم عاد للحديث عن المصادفة عند بيرس وبوانكاريه وكينز ثم توقف عند بعض التعريفات العامة وقدم خلاصة للباب الأول.

أما الباب الثاني فقد حمل عنوان « المصادفة بين الرياضيات والفيزياء « وقسمه إلى فصلين تحـدث في الأول عن حسـاب الاحتـمالات وبدأ بتتبـع تاريخها ثم عـرض للنظريـة التقليدية للاحتمال عند هيوم ولابلاس وكورنو وإليس وفن وبيرس. ثم للنظرية المنطقية للاحتمال عند كل من كينز وجيفرز والوضعية والمنطقية ودونالك ويليامز وكارناب. ثم للنظرية التكرارية

للاحتمال في تعريفها العام ثم عند بيرس وريشنباخ وفريثيته. وفي النهاية قدم تلخيصًا عامًا لما سبق عرضه وتحدث عن أصل الاحتمال والمصادفة.

وتحدث في الفصل الثاني عن «المصادفة والفيزياء»، وعرض فيه لحدود الفيزياء التقليدية وأزمة الفيزياء التقليدية ثم الفيزياء الحديثة (التحليل الراديومي والتركيب الداخلي للذرة)، ثم عن طبيعة الضوء (التفسير الجسيمي والتفسير الموجهي وظاهرتا التداخل والانعطاف - نظرية الكم - المفعول الكهروضوئي - مفعول كمتون - مبدأ عدم اليقين). ثم عن الميكانيكا الموجية (موجة الاحتمال - المظهر التكميلي - الاحتمال والفيزياء الحديثة - موضوعية المصادفة). ثم حلل موضوعية الفيزياء الحديثة وفسرها، ثم انتقل للحديث عن سلامة الأساس الحتمي للفيزياء الحديثة (العلية - الضرورة - الحرية)، ثم تحدث عن القيمة الفلسفية للفيزياء الحديثة (المظهر التكميلي - تخلف الفردية القابلية للتنبؤ - الموضوعية - موقف جينز). ثم انتهى إلى تلخيص عام للمصادفة في الفيزياء الحديثة. وقدم لنا في نهاية الكتاب خلاصة للبحث تحدث فيها عن؛ المصادفة تحقق موضوعي ذو دلالة موحدة، تطور مفهوم المصادفة عند الطفل وفي التاريخ العام، دلالة المصادفة في النظريات الفسفية، دلالة المصادفة في حساب الاحتمالات والفيزياء، نقد النظرية العلمية عند إميل بوترو وأثر المصادفة الموضوعية في تطوير النظرية العلمية.

2) الفكر العربي بين الخصوصية والكونية:

وتأتي أهمية هذا الكتاب في أنه يعبر عن التطور الذي حدث لمفكرنا وتحوله من الاهتمام بفلسفة العلم في بدايات حياته الفكرية، إلى الاهتمام بقضايا الواقع الفكرية وفكرنا العربي المعاصر وموقفه من المتغيرات الفكرية العالمية في عصر العولمة أو عصر «الكونية» كما يحلو له أن يسميها، وهو يعتبر هذا الكتاب هوالجزء الرابع لكتب ثلاثة سبقته هي معارك فكرية 1965م. والوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر 1986م. ومفاهيم وقضايا إشكالية 1989م. فهي جميعًا تعالج الفكر العربي المعاصر في تجلياته النظرية والاجتماعية والسياسية والثقافية المختلفة و إن كان كل واحد منها له خصوصيته النابعة من خصوصية اللحظة التاريخية التي كتب فها. وتميز هذا الكتاب في أنه يعرض لموقف صاحبه في عصر بدأت ثورة حضارة واحدة تمتد لأول مرة في التاريخ من أدنى الأرض إلى أقصاها و إن اختلفت وتفاوت

مستويات هذه الحضارة الواحدة بين هذا المجتمع أو ذاك، وهذه الحضارة الواحدة هي المسماة بالحضارة الغربية أو بالعولمة أو بالكوكبية أو الكونية، وهو يعرض لهذا الموقف من خلال عدة دراسات وبحوث؛ أولها عن مفهوم الهوية، وثانيها عن الهشاشة النظرية في الفكر العربي المعاصر، والثالثة عن إشكالية الفكر العربي المعاصر بين الدولة والمجتمع والعصر وأخرى عن الدين والسياسة، وخامسة عن الفكر العربي المعاصر بين الأصولية والعلمانية، وسادسة عن التاريخ والنظرية، وسابعة عن الماركسية وسرير بروكوست، وثامنة حول مفهم اليسار في العصر الراهن، وتاسعة عن محددات الحرية في الفكر العربي المعاصر، وعاشرة عن إشكالية التنوير في واقعنا الثقافي الراهن، وأخيرة يطرح فيها قضية: الفلسفة تعيد السؤال عن نفسها.

وهي جميعًا دراسات تصب في نفس الإشكالية الأساسية التي يطرحها العنوان «الفكر العربي بين الخصوصية والكونية»، وهو يرى أن جوهر معركة هذا العصر الراهن الآنية هي «النضال من أجل القضاء على الهيمنة الأمريكية على العالم والسعي إلى دعم المشروعية الدولية وحماية حق كل بلدان العالم في اختيار طريقها الخاص للتنمية الشاملة الاقتصادية والبشرية والثقافية والإبداعية في إطار تجلياتها، وتوفير الحوار بين مختلف الخبرات والتجارب السياسية والتنمية الثقافية بين شعوب العالم. إن وحدة هذه الخبرات والتجارب وتنميتها هي السبيل لبناء عالم إنساني جديد يتم فيه احترام الهويات والخصوصيات المختلفة. فلا وحدة صحية للعالم إلا باحترام الاختلاف والتنوع، ولا تحقق للاختلاف والتنوع بشكل صحي إلا في إطار الوحدة». (ص12).

رابعاً: آراؤه الفلسفية

لعل المنحى الفكري الذي اتخذه العالم قد تحددت أولى معالمه من الاهتمام في بدايات حياته الفكرية حينما اختار فلسفة العلم أساسًا لنظرته الفلسفية العامة، وقد أفاد كثيرًا هذا الاختيار حيث وضع عقله التأملي في منطقة وسط بين الفلسفة والعلم، أو بين النظر والعمل، أو بعبارة أدق بين الفلسفة والواقع، كل ما هنالك أن مساحة الواقع قد اتسعت في فكره شيئًا فشيئًا فبدأت بالنظر في الواقع العلمي وانتهت بأن أصبح الواقع هو واقع الحياة في عمومها؛ الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية والثقافية، واقع المفكرين وواقع الأدباء وواقع

رجال العلم والعلماء وفي ذات الوقت واقع رجل الشارع الذي يحيا بعيدًا عن هذه المناوشات النظرية وتلك الأفكار الفلسفية والعلمية والأدبية.

والطريف أنه منذ هذه البدايات الأولى قد حدد منحنى محدد أبرز من خلاله ما أسماه «بالمصادفة الموضوعية» التي كشف عن وجودها في التفكير النظري الفلسفي، كما كشف عنها كذلك في حساب الاحتمالات والفيزياء الحديثة. (فلسفة المصادفة، ص15).

وهذه المصادفة في تعريفه هي «واقعة موضوعية تتميز بأنها قابلية للتغاير والتمايز والتشابك وأنها محصلة لعوامل متداخل متفاعلة. وموضوعيتها لا تتنافى مع الضرورة الموضوعية، لأن المصادفة وجه للضرورة الموضوعية. فالضرورة الموضوعية ليست تحديدًا ميكانيكًا أو قابلية للصياغة الرياضية الإقليدية. وإنما هي بدورها ما يتميز به الواقع المادي من علية عواملية مجالية. وفي قلب هذه العملية العواملية المجالية أو الضرورة تبرز المصادفة كمظهر لتداخل العوامل وتعقدها وتشابكها وقابليتها للتغاير والتمايز والتداخل». (ص318). ولقد كشف له التتبع التاريخي لمختلف نظريات المصادفة «أن مدلول المصادفة يزداد اقترابًا من الموضوعية كلما خلت النظرية من الدلالات الغائية واللاهوتية وارتفعت عن الحدود الميكانيكية». (ص327).

وفي هذا الإطار بالضبط تحرك فكر العالم منذ هذه البدايات الأولى حتى أخر ما كتب، إنه ذلك المفكر المؤمن بالموضوعية التي لا تتعارض مع المصادفة، بل تلتقي معها إذا ما تداخلت العوامل المختلفة وتشابكت، إنه ذلك المفكر الذي خلا فكره من الدلالات الغائية واللاهوتية وفي ذات الوقت ارتفع عن الحدود الميكانيكية الجامدة. وهذا الارتفاع عن تلك الحدود الميكانيكية الجامدة هي ما أكسبه في كل ما كتب حرية الحركة، والقدرة على النقد، نقد الآخرين ونقد الذات، والقدرة على تجاوز كل ما هو تقليدي جامد استشرافًا لأبعاد جديدة تمكنه باستمرار من أن يظل ممتلكًا لقدر كبير من التفاؤل بشأن المستقبل رغم ما يراه من قتامة في الحاضر بتشابكاته وتعقيداته المختلفة.

وليس أدل على ذلك من أنه في الوقت الذي ينتقد فيه الفكر العربي المعاصر بكافة أشكاله ومستوياته حينما يقول «أن الفكر العربي عامة سواء في منظومته السلطوية الرسمية

أو اجتهاداته الفردية، وفي تجلياته في برامج ومواقف الأحزاب والهيئات السياسية، وفي واقعه المجتمعي السائد هو خطاب أيدلوجي يفتقد الأحاطة والعمق والاتساق المعرفي النظري العلمي العلمي بالواقع العربي في معطياته المختلفة، كما يفتقد الفاعلية الناجعة المؤسسة على هذه المعرفة» (مجلة عالم الفكر، م26، العدد 3، 4، ص371).

أقول في الوقت الذي ينتقد فيه الفكر العربي على الصعيدين النظري والعملي بهذا الشكل الشامل، فإنه ظل يرى الأمل في مستقبل أفضل من خلال دعوته إلى ضرورة وجود «فكر نظري نقدي تأسيسي» (قضايا فكرية، يوليه 1995م، ص4)، يكون من شأنه «إشاعة الفكر العقلاني النظري العلمي، والسعي إلى تحقيق تنمية مستقلة قومية شاملة، والعمل على مشاركة الجماهير العربية الواعية والفاعلة ومختلف القوى المنتجة والمبدعة مشاركة جماعية» (عالم الفكر، ص374).

إنه يرى أن الأمل قائم في الخروج من أزمة الفكر العربي الراهنة والمشاركة الحضارية في المعركة الحضارية القائمة إذا ما تحققت الشروط الموضوعية لذلك وهذه الشروط الموضوعية هي التي من شأنها تحقيق التقدم وتجاوز ما نعاني منه من عوامل التخلف. وقد حددها في ختام بحثه حول «الهشاشة النظرية في الفكر العربي المعاصر» في نقاط أساسية هي:

1) النقد العقلاني والرؤية التاريخية لجذور التخلف والتبعية في فكرنا وواقعنا على السواء.

2) الامتلاك المعرفي لحقائق العملية الجديدة، ثورة المعلوماتية دون انتظار لاستكمال امتلاكنا المعرفي المؤخل المحدود المجهض للثورات العلمية السابقة.

3) مشروع تنموي قومي شامل ذي أبعاد اقتصادية واجتماعية وتعليمية وثقافية وإعلامية وقيمية، مشروع يستوعب تراثنا العربي الإسلامي استيعابًا عقلانيًا نقديًا ويضيف إليه ويستوعب حقائق عصرنا الراهن استيعابًا عقليًا نقديًا كذلك ويضيف إليه.

4) الوعي بحقائق واقعنا القومي ونسعى لتوحيده في مراعاة واحترام لاختلاف وتنوع خصائصه وملابساته دون أن ننغلق على العصر بوحدتنا القومية، فهويتنا ليست كينونة جاهزة مكتملة بل هي ضرورة متصلة ومشروع مقترح دائمًا على الجديد والمستقبل.

5) جعل مناهجنا التعليمية مراكز للبحث ولتجديد المعارف وجسارة الإبداع، ولا قاعات للتلقين أو ساحات لوعاظ السلاطين الذين يتاجرون بتجسير العلاقة بين المثقفين وخزائن السلطة وحقول النفط أو مكاتب لنسيج تبريرات أيديولوجية ذات مظهر علماوي للأوضاع والأنظمة السائدة لتكريسها وإعادة إنتاجها.

6) إطلاق حرية الفكر والنقد والاختلاف وتشكيل الهيئات والتنظيمات الشعبية والمجتمعية المختلفة المعبرة عن القوى الحية والمنتجة والمبدعة في المجتمع نساءًا ورجالاً.

7) عدم تغليب السلطة على المجتمع، ولا السياسي على الأيدلوجي، ولا الأيدلوجي على المعرفي، ولا نجعل من المعرفي تنويريًا نخبويًا استعلائيًا مفصولاً عن روح النقد العقلاني الموضوعية وإرادة التغيير والتجديد.

وهو يقدم هذه النقاط السبعة ليس لمجرد أن تكون نواة لمشروع نهضوي أيدلوجي مجرد، وليس لمجرد أن تكون يوتوبيًا نتأملها ونعتقد في صحتها، بل يقدمها باعتبارها شروطًا ضرورية تولدت عن «ضرورة تتمخض في حقل الإمكانات المتاحة والتي تنتظر الوعي والإرادة والتنظيم والمبادرة في قلب مجتمعاتنا المدنية». (قضايا فكرية، ص17 - 18).

وإذا تساءلنا عن دور الفرد والمجتمع في هذه النهضة الشاملة المرجوة أو بصيغة أخرى عن مجال حريتنا كأفراد في صنع هذا المشروع النهضوي الذي لا يمكن أن يحدث كضرورة تاريخية بالمعنى الماركسي مستقلة عن فعلنا الفردي؟!

أقول إذا تساءلنا عن كل ذلك لأجابنا العالم في إحدى مقالات «الفكر العربي بين الخصوصية والكونية»، أن السؤال عن الحرية لا يكون في ملكوت الذهن وحده وإنما في ملكوت الواقع وإنما الحرية تتكشف في رأيه أساسًا «في ملكوت الفعل العقلاني المناضل والفعل التغييري المبدع في مختلف المستويات الفردية والمجتمعية والإنسانية وفي مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبهذا لن تكون الحرية مجرد وسيلة أو مجرد غاية بل ستكون صيرورة متصلةومعنى حيًا مبدعًا لإنسانية لإنسان». (ص205).

وبالطبع فإن العالم برؤيته المجتمعية ذات النزعة الماركسية الواضحة لن يحدثنا عن

الحرية للفرد مستقلة عن المشروع النهضوي الشامل للمجتمع وإن كان يرى أن الحرية تبدو أكثر ما تبدو في ميدان الفعل الحي، فالأفعال وتطورها بشكل مبدع هو الذي تتبدى فيه حرية الأفراد في ظل مجتمع إنساني يرعى هؤلاء الأفراد ويحقق طموحاتهم في صيرورة متصلة لا تعرف للتطور والتقدم حدودًا تقف عندها.

أهم المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

ملف الأستاذ خدمة محمود أمين الالم بأرشيف كلية الآداب - جامعة القاهرة.

محمود أمين العالم:

- فلسفة المصادفة، دار المعارف بالقاهرة، 1971م.
- الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، دار المستقبل العربي، القاهرة 1996م.
- الفكر العربي بين النظرية والتطبيق، مجلة عالم الفكر الكويتية، المجلد السادس والعشرون، العددان 3، 4 يونيه 1998م.
- الهشاشة النظرية في الفكر العري المعاصر، قضايا فكرية (الفكر العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين)، الكتاب الخامس والسادس عشر، يونيه - يوليه القاهرة 1995م.

ثانياً: المراجع

د. محمود إسماعيل:

- محمود العالم عقل فعال في عقول منفعلة، دراسة قدمت للندوة التي عقدتها الجمعية الفلسفية المصرية لتكريم محمود أمين العالم بمناسبة بلوغه عامه الخامس والسبعين، ونشرت ضمن مطبوعات الجمعية في كتاب بعنوان «محمود أمين العالم في عيد ميلاده الماسي»، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1999م.

د. مجدي عبدالحافظ:

- نظرية التنوير الجدلي، دراسة نشرت في نفس الكتاب السابق، القاهرة 1999م.

د. ماهر شفيق فريد:

- محمود أمين العالم.. واقعية بلا نفاق، دراسة نشرت في نفس الكتاب السابق، القاهرة 1999م.